

القناع في شعر علي محمود طه

Mask in the Poems of Ali Mahmoud Taha

(^أ) د. نعيم عموري، (^ب) د. عفيفه موحديان عطار

(^أ) أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز (الكاتب المسؤول) - إيران | naim_amouri@yahoo.com

(^ب) مدرسة اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز - إيران | afifehmovahadian@gmail.com

ملخص

أحد أشكال الرمز في الصورة الشعرية هو القناع. وتقنية القناع تُعدّ من أهمّ التقنيات الشعرية، وأبرز الآليات التي اتّكأ عليها الشعراء في عملية التوصيل الشعري، لما يحمله كل رمز من رموز القناع من طاقة هائلة محملة بالمعاني المتعددة. ومن السمات البارزة في القصيدة الحديثة هي التحول من الإنفعال العاطفي إلى التعبير بالمعادل الشعوري والتصويري والإعتماد على التركيز الدلالي في تقديم المضمون الشعري بطريقة إيحائية ولا تعبر تعبيراً مباشراً. والشاعر لجأ إلى مجموعة الأدوات والتقنيات الشعرية؛ كالرمز والقناع. واستلهم الشاعر شخصيات وأحداث من التراث الانساني للتعبير من خلال الأقنعة والرموز وإنه لم يقف عند حدود استدعاء التراث فحسب، إنما كان تحوله ناضجاً عندما استقى من الموروثات الدينية والتاريخية فأضفى قوة ومصداقية على النص الأدبي الحديث ومن الشخصيات الدينية التي يتقنّع بها شخصية آدم وحواء، ونوح النبي ورافائيل و... و آدم و حواء رمزان لمن يذنب ذنباً ويخرج من الجنة وهما يحزنان من ذنبهما ونوح النبي رمز للإنسان الذي يتخذ سبيلاً للرشد والهدى والنجاة من الخطر ورافائيل قناعاً لمن لمس الفن الجميل ونجّاه والشاعر يضفي على هذه الشخصيات من ملامحه، ويستعير من ملامحها؛ لينتج من ذلك القناع الذي هو ليس الشخصية، ولا الشاعر، وإنما هو الشاعر والشخصية معاً واستخدم الأساطير والأمكنة التاريخية وكانت غرناطة وإلهة أثينا هي إلهة الحكمة والقوة وإلهة الحرب وحامية المدينة وروما، وإلهة الشر من الآلهة المصرية القديمة كان تمثيلاً لظواهر الشر، الشاعر يتخذ من الصليب رمزاً وقناعاً يعبر به ومن خلاله، عمّا لحقه هو من أذى وألم وعذاب. شاعرنا الرومنسي لم ينس مآسي الناس وتقنّع بعدة قناعات أدبية رائعة لبيان هموم الناس وهموم نفسه أنه بحق عاش في قمتين أدبيتين قمة الرومنسية وقمة الرمزية.

الكلمات الدالة: القناع، الرمز، التراث الديني، التراث التاريخي، علي محمود طه.

Abstract

Mask is a type of symbolism in poetry. Mask is one of the most important techniques in poetry. This technique has been widely used by poets. Every symbolic mask may have a variety of literary meanings. One of the salient features of contemporary poems is a shift from an emotional language to a poetic language by relying on symbols. In this way, the poet talks objectively and indirectly rather than directly. The poet may employ a variety of poetic techniques such as symbol and mask. Ali Mahmoud Taha used religious and historical masks and symbols. In those poems that he has used religious and historical masks and symbols, his descriptions are fine and sensible. By using religious and historical masks and symbols, he revolutionized his poems. This helped him to increase the power and influence of his poems. Among the religious characters who are referred to by mask in his poems, we can refer to Adam and Eve, Noah, and Raphael.

Adam and Eve are the symbols of those people who have committed a sin and have been dispelled from the heaven while they are repentant for their wrongdoings. Noah is the symbol of a person who guides people to salvation and saves them from danger. Raphael is the mask or symbol of someone who has really understood beauty and the art of creating beauty. The poet adds his own characteristics to the character of those religious people. He uses metaphor to imply that the mask or symbol refers to both those religious people and the poet himself. The poet also uses myth and historical places in his symbolic language. For example, he refers to Granada, goddess of wisdom, power, war, and Athena. The goddess of sin is a symbol of wrongdoing. The poet uses the symbol of cross to talk about agony and pain. This romantic poet did not overlook the problems of people. He uses several beautiful masks to talk about the pains of people and their problems. Ali Mahmoud Taha is at the peak of romantic literature and symbolism.

Key words: Mask, Symbol, Religious and Historical Masks, Ali Mahmud Taha.

مقدمة

بتأثير الشعر الغربي وتقنياته المستحدثة، للتخفيف من حدة الغنائية والمباشرة في الشعر. الشاعر يتلاعب كيف ما شاء بالشخصية أو الحدث الذي يتقن به «تكون الشخصية متوافقة مع المبدع، وقد تكون مخالفة له»⁽⁴⁾، والشاعر يضيف على هذه الشخصية من ملامحه، ويستعير من ملامحها؛ لينتج من ذلك القناع الذي هو ليس الشخصية، ولا الشاعر، وإنما هو الشاعر والشخصية معا وأوردت في خاتمة البحث النتائج التي توصلت إليها.

هدف البحث

تهدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن استخدام علي محمود طه لهذه التقنيات، ومدى استفادته منها، والكيفية التي عكستها هذه الاستفادة من خلال استخدامه لهذه التقنيات، ومدى توظيفه لها.

سؤال البحث

ما هي الأنواع التي إتخذها الشاعر علي محمود طه قناعاً في شعره؟

فرضية البحث

اتخذ الشاعر الشخصيات الدينية قناعاً كشخصية آدم وحواء، ونوح النبي و يوسف ورافائيل ثم اتخذ الشرق قناعاً ويعد القناع من التقنيات الجديدة التي دخلت مضمار القصيدة الحديثة فأعطتها إحدى سماتها الرئيسية، ضمن عملية توظيف الرمز، فالقناع جزء من الرمز، أو هو وجه من وجوه عملية الترميز، ومن الممكن تماماً أن يرتقي كل قناع محكم إلى مستوى الرمز وفاعليته، لكن الرمز لا يتحول بالضرورة إلى قناع برغم العلاقة المتينة التي تربط الاثنين معا.

خلفية البحث

في هذا النطاق قد صدرت عدة دراسات منها كتاب «علي محمود طه: الشاعر والإنسان» لأنور المعداوي و«علي محمود طه، حياته وشعره» للسيد تقي الدين و«الملاح التائه» لمحمد عوض محمد طه» لمحمد رضوان، ومقالة «الملاح التائه» لمحمد عوض محمد نشرت في مجلة الرسالة العدد 52، 1934م، وقد طبع ديوانه

القناع ظاهرة مهمة من ظواهر النقد العربي الحديث، وأداة فعالة اتكأ عليها الشاعر في النهوض بتجارب شعرية عديدة، شكل بعضها أهم النتاجات الشعرية، وقد مرت عملية بناء قصيدة القناع شكلاً ومضموناً عند الشعراء العرب بسلسلة متصلة من المحاولات والتجارب الشعرية والإبداعية. ونظراً لعدم تخصيص الشاعر علي محمود طه قصائد كاملة للقناع وإنما برز استخدامه لهذه التقنية عرضاً ضمن قصائد متفرقة.

و«القناع حيلة بلاغية أو رمز أو وسيلة للتعبير عن تجربة معاصرة. وهذا يعني أنه لا بد من أن يكتشف المتلقي بنفسه وبمساعدة القرائن النصية أن المقصود هو الحاضر، وما القناع سوى وسيلة إخفاء وإبعاد فنية؛ ولذلك جنح الشاعر إلى الاستفادة تناصياً من تجربة أو موقف أو رؤياً أو حدث شهير في الماضي، ليتقنع بها، ويعيدها إلى الأذهان ضمن تجربة جديدة مماثلة، فتتعدد أصوات القصيدة وتتفاعل هارمونياً ودرامياً؛ فيبتعد بذلك قليلاً عن الصوت الأحادي والمباشرة، ويضيف على عمله الشعري شيئاً من الموضوعية والتعدد والاختلاف والتكامل والغموض الفني الشفاف. فكلما كان الحدث المستعار من الماضي شائعاً في أذهان المتلقين، كان الاتصال بين الشاعر وجمهوره سليماً⁽¹⁾». وإن القناع أسلوب تعبيري جديد يتكلم الشاعر من ورائه عن بعض شواغله وهمومه الفكرية⁽²⁾». فالقناع المخترع يعرف لنا نوعاً جديداً يجتاز مصادر القناع التاريخية أو الشعبية أو الأسطورية... وتنشأ من خيال الشاعر وقدرته الإبداعية وتمثيله شريحة معينة من شرائح المجتمع. فبهذا المفهوم يمكن أن نسمى شخصية القناع المخترع شخصية نمطية و«تمثل صفة إنسانية مجسدة، والتي يراد بها التدليل على أن عدداً كبيراً من الناس يتصفون بها»⁽³⁾ وقد يظهر بالنمط البسيط أو بالنمط المركب. فالملاح التائه، يذهب إلى أبعد من أنواع القناع، ويتجاوز حدود الزمان والمكان عبر مخيلته وقد لجأ الشعراء إلى القناع باعتباره وسيلة فنية للتعبير عن تجاربهم بصورة غير مباشرة، وهو تقنية مستحدثة في الشعر العربي المعاصر، شاع استخدامها منذ ستينيات القرن العشرين

الحاسّة في موطنها ومنشئها ومدرجها، ثم تكون البلاد البعيدة في مطارح الغربة هي التي تنفض عنها غبارها وتمسحها، حتى تجلوها جلاء المرأة؛ إعداداً لها لتتلقّى صُورها التي تجري في مائها إلى دم الشاعر، ثم إليها مرّة أخرى، ولا تزال كذلك بين الأخذ والإعطاء، حتى ينبثق ماء ينبوع من صخرة الحياة الشاعرة⁽⁶⁾». فلجأ الشاعر إلى استخدام الرمز وسيلةً فنيّةً للتعبير غير المباشر عما يريد، وتقنّع بشخصية من شخصيات التاريخ، فتشبّث بها، وانطلق منها نحو ذاته، معبراً بوساطة التقنّع بها عن مكنونات نفسه، مبيحاً عن طريق التقنّع بتلك الشخصية عن أسرارهِ إلى المتلقّي.

القناع

القناع (MASQUE) في اللغة: «ما تتقنّع به المرأة من ثوب تغطي رأسها ومحاسنها⁽⁷⁾»، أما تعريف القناع اصطلاحاً: «فهو وسيلة فنية لجأ إليها الشعراء للتعبير عن تجاربهم بصورة غير مباشرة، أو تقنية مستحدثة في الشعر العربي المعاصر، شاع استخدامه منذ ستينيات القرن العشرين بتأثير الشعر الغربي وتقنياته المستحدثة، للتخفيف من حدة الغنائية والمباشرة في الشعر، وذلك للحديث من خلال شخصية تراثية، عن تجربة معاصرة بضمير المتكلم. وهكذا يندمج في القصيدة صوتان: صوت الشاعر من خلال صوت الشخصية التي يعبر الشاعر من خلاله⁽⁸⁾. وكان القناع جزءاً من الطقوس الدينية البدائية التي تهدف عن طريق السحر إلى مواجهة الطبيعة. ثم استخدم في نوع من المسرحيات التي ازدهرت في بلاطات الملوك في عصر النهضة بأوروبا، حيث كانت الشخصية المسرحية تتقنّع وتتكر وتشارك في موكب رمزي، وهي تنشد الأغاني أو تلقي الخطب، قبل أن يدخل عالم الشعر، فيستخدمه الشاعر لي طرح أفكاره ومشاعره من خلفه، ويجعله يتحدث بلسانه⁽⁹⁾. ويمثّل القناع شخصية تاريخية. في الغالب. يختبئ الشاعر وراءها ليعبر عن موقف يريده، أو ليحاكم نقائص العصر الحديث من خلالها⁽¹⁰⁾».

وتتأسس قصيدة القناع على قاعدة يدخل الرمز في بنياتها المختلفة، وفي تواتراتها الداخلية؛ «للمرّز حضور قوي ووجود حيّ في لحمها، وفي سياقاتها النصية والدلالية. وعلاقة القناع بالرمز علاقة ارتباط الجزء بالكل، أو الخاص بالعام؛ فالقناع جزء خاص ودقيق من أجزاء الرمز المختلفة. له خصائصه وحضوره الذي يميزه عن غيره من الأنواع أو الأشكال الرمزية. وإن عدّ النص المُنقَع وعاءً لتداخل شخصية الشاعر وتفاعلها التركيبي مع الشخصية التراثية، فإن الرمز بمثابة الخيط الذي يصل هذا التفاعل وتشابكاته في بناء النص الجديد⁽¹¹⁾....».

وتبين لنا من خلال ما مضى أن الرمز يرتبط بالقناع برابطة متينة، وأن تقنية القناع تقع ضمن دائرة الرمز، لأن عملية التقنّع تنهض، أساساً، علي استخدام متطور للرموز والشخصيات. فمن الممكن، أن يرتقي كل قناع محكم إلى مستوى الرمز وفاعليته، لكن الرمز لا يتحول، بالضرورة إلى

كاملاً في بيروت وقاهرة، ونري المقالات التي تناولت موضوع القناع قد نثر علي دراسات عدة لها إشارات خاطفة تقتصر إلى المنهجية الفنية للرمز ونجد ذلك مثلاً «القناع في ديوان الشهيد محمد الدرة»، طبع في مجلة العميد، للكاتب الشويلي» و «قناع السندباد عند بدر شاكر السيّاب» لحامد صدقي و فؤاد عبدالله زاده نشر في مجلة جامعة أهل البيت (ع) و«القناع في شعر بدر شاكر السيّاب: قصيدة سفر ايوب» لحامد صدقي ورضوان باغباني نشر في مجلة بحوث في اللغة العربية وآدابها وكتاب «الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السيّاب، نازك و البياتي)» لمحمد علي الكندي الذي درس الصورة وأنماطها، منها الصورة الرمزية وأهمية الصورة ووظيفتها من جهة المبدع والمتلقي والعمل الأدبي. كما تطرق لمفهوم القناع وماهيته وأنواعه وأنماطه وخصائص القناع الأسلوبية وعالج نماذج من الرموز لدي هؤلاء الشعراء وكيفية إستخدامهم لها فمن هنا شعرنا برغبة لتناول هذا الموضوع إنطلاقاً من موقف نقدي معين وجدّيد لهذا الإتجاه، مستنداً علي الأسلوب العلمي النقدي ولإستكشاف الجوانب الفنية في الشعر ونتمنى أن يكون هذا البحث بداية لبحوث نقدية تعالج جميع صور الشاعر الفنية الرمزية والقناعية، والتي لم يتسنّ لنا التطرق إليها إلا بصورة مختصرة.

علي محمود طه في سطور

إنّه وُلد عام 1901م، بمدينة المنصورة وتوفي 1949م وعاش حياة رغدة لينّة، استمتع فيها بلذات الحياة، فكان كثير الأسفار، حيث زار عدداً من البلدان الأوروبية، فتفتحت آفاقه الشعرية، وفاض وجدانه، وقد احتل مكانة مرموقة في الأوساط الشعرية في أربعينيات القرن الماضي، كان شاباً منضوّر الطلعة، مسجور العاطفة، مسحور المخيلة، لا يبصر غير الجمال، ولا ينشد غير الحب، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوي ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك، وذلك عقب صدور ديوانه الأول «الملاح التائه» الذي تبين فيه تأثره الواضح بالشعراء الرومانسيين الفرنسيين خاصة لامارتين. وقد توالى بعد ذلك دواوين، فأصدر «أرواح وأشباح» و«شرق وغرب» و«زهرة وخمر» وغيرها.

ويُعدّ الشاعر علي محمود طه أبرز أعلام الاتجاه الرومانسي العاطفي في الشعر العربي المعاصر، لكن يقول عنه النقاد: «إنه ليس شاعراً رومانسياً خالصاً، كما هي الحالة عند أبي القاسم الشابي، ففي شعره تصوير حسي للذات الحياة وحاناتها وما فيها من رقص وخمر وغناء، وألفاظه ذات رنين صاخب، وإيقاعاته كلاسيكية وإن حاول أن ينوّع في هندستها، وبعض موضوعاته كلاسيكية في حين أن موضوعاته الأخرى كانت رومانسية، ولذلك تقلّب بين الشعر الكلاسيكي، والشعر الرومانسي⁽⁵⁾». ويقول محمود محمد شاكر عنه: «إنّ هذه الحاسّة العاقلة المفكّرة النابضة في الشاعِر تأخذ مادتها من مساقط الوحي في كلّ أرض، وتحت كلّ سماء، وربّ حُمول أو فترة تأخذ هذه

مَثَلْتُمَا فِي الْمَوْتِ وَحَدَّةَ أُمَةٍ ذَاقَتْ مِنَ التَّفْرِيقِ كُلَّ هَوَانٍ
مَسَحَ الْهَلَالُ دَمَ الصَّلِيبِ وَضَمَدَتْ جَرَحَ الْأَهْلَةَ رَاغَةَ الصَّلْبَانِ
إِنْ كَانَ فِي سَاحِ الرَّدَى لِكَلِيكِمَا مَثَلٌ، فَبِئْسَ الْفِدَا ثَلَاثُنَ⁽¹⁸⁾

الشاعر في موقف المدح ومباهاة بالشعب المصري الذي اتحد في وجه الاستعمار الفرنسي أيام نابليون، حيث اتحد المسلمون والمسيحيون والاقباط بوجه الطغيان الفرنسي، واتخذ من الهلال قناعاً للمسلمين، حيث الهلال يرمز إلي بداية الشهور عند المسلمين ثم الشاعر استخدم العناصر الزمنية في الأبيات التي سبقت هذا البيت وهذا قناع مركب، حيث مزج بين ما يتبادر للمسلم من الهلال وهو بداية الشهر إلي بداية النصر وذلك بمساعدة الصليب الذي تقنّع به للمسيحين، ولذا يشير إلي الوحدة المتكافئة بين المسلمين والمسيحيين ضد الاستعمار، فالشاعر يتخذ من الصليب رمزاً وقناعاً يعبر به ومن خلاله، عما لحقه هو من أذى وألم وعذاب نفسي لأن الشاعر رومنسي ومع هذا العذاب كان يشعر بفخر لسلفه الصالح بسبب الوحدة. وفي قناع آخر يقول:

جَنِيَتْ، يَا أَرْضُ، عَلَيَّ أَدَمُكَ إِذْ سَمَّيْتَهُ بِالْأَمْسِ، هَجَرَ الْجَنَانِ
يَا ضَلَّةَ الشَّاعِرِ، أَيْنَ النِّجَاةُ وَأَيْنَ، أَيْنَ الْمَنْزِلَ الْأَمِنُ؟
أَكُلُ وَادٍ طَرَقَتْهُ خُطَاهُ طَالَعَهُ مِنْهُ الرَّدَى الْكَامِنُ
حَتَّى إِذَا ضَافَتْ عَلَيْهِ السَّبُلُ وَعَزَّ عَلَيْهِ فِي الْأَرْضِ الْمُقَامُ
أَوَى إِلَى كَهْفٍ بِسَفْحِ الْجَبَلِ عَسَاهُ يَقْضِي لَيْلَهُ فِي سَلَامٍ⁽¹⁹⁾

الشاعر يناجي الأرض ويشخصها حيث استهزئت الأرض بآدم لما نزل عليها من الجنة لكن هنا لا يقصد فقط آدم أبوالبشر فقط بل يقصد كل إنسان ابتلي في حياته وكل إنسان علي وجه الأرض ويخص البشرية جمعاء ثم يسرد المتاعب في الحياة الدنيوية إلي أن يأتي بقناع طبيعي يفرض من الأرض التي عبرته علي متاعبه إلي كهف بسفح الجبل وهنا يريد القناع البسيط الذي أراد به أصحاب الكهف الذين تحدّث عنهم القرآن في سورة الكهف الآية (9-26) وفي موضع آخر يدتي الشاعر بقناع نوح عليه السلام:

ما غادر الموج به قائماً/ يوم احتوي الأعلام طوفان نوح/ إذا فما للناس
ضلوا الهدى؟ و أخطئوا اليوم سبيل الرشاد؟/ لعل نوحاً أخطأ المقصد/ فاعرق الخير ونجى الفساد/ يا ليتني لما دعا بابنه/ و حالت الامواج أن
يسمعا/ يا أرض، ولي عهد نوح و زال/ فمن لك اليوم بطوفانه؟⁽²⁰⁾

تأملات نفسية جرفت أفكار الشاعر إلي شواطيء بعيدة جداً يمزج بها مفارقة عجيبة وتقنّع بأقنعة ثلاثة طوفان نوح وشخص نوح وعهد نوح وأراد بطوفان نوح الحوادث والكوارث وأراد بنوح قناع العقل وفي القناع الثالث الذي خصّه بعهد نوح أراد التجديد والتأسيس لأفكار جديدة فقد ذكر الشاعر طوفان نوح وهي حادثة تاريخية رمزاً لذكر ان الناس ضلوا طريق الهدى والرشاد والصالح كما الناس اخطئوا في زمن

القناع وهذا الفرق بين الرمز والقناع. والقناع أيضاً «يمنح الشاعر مجالاً للتعبير، ليفصح عن افكاره علي نحو فني يبعد القصيدة عن المباشرة والسطحية وينأي بالشاعر عن أن يكون عرضةً للأذّي والملاحقة»⁽¹²⁾.

التراث

إنّ الأقنعة جميعها مستمدة من التراث ألا في القليل الذي التفت فيه بعض الشعراء إلي بعض الشخصيات الوطنية أو القومية ويعد التراث منبعاً ثرياً وتشكل رموزه سيرورة التواصل الحضاري لأبناء الأمة ويتجلي ذلك في أقنعة الشخصيات الأدبية والدينية والصوفية والتاريخية والأسطورية...ومن هنا فإن تقنية القناع هي من أهم الإفادات التي إهتم بها الشعر العربي المعاصر؛ إذ أنّ الشاعر عندما يتقنّع بشخصية تراثية من أسطورية وتاريخية ودينية ينطق من خلالها ويجعلها تنطق بما يريد ويقتضي ذلك منه موقفاً مشتركاً بين الشخصيات والشاعر أي: بين القناع والشاعر. «وحاول أن ينظر إليه من بُعد مناسب وأن يتمثله جوهرًا وروحًا ومواقف، فادرك فيه بذلك أبعاده المعنوية»⁽¹³⁾. وتفاوتت مواقف الشعراء والمبدعين العرب من التراث بعامّة ومن التراث الشعري بخاصّة، إذ ذهب فريق منهم إلي إحيائه وإعادة بث الحياة فيه ونشر نماذجه في الحياة الأدبية الحديثة، وقد تمثل في حركة الشعر الإحيائي التي رأي روادها، «أن شعرنا العربي لن يستطيع أن يثبت وجوده، ويحقق أصالته، إلا إذا وقف علي أرض صلبة من صلته بتراثه وارتباطه بماضيه، وأيقنوا أن انبثات الشعر عن تراثه، ... انما هو حكم علي ذلك الشعر بالذبول ثم الموت»⁽¹⁴⁾.

ولقد هباً هذا الفهم الحديث لأهميته التراث ومهمته، السبيل لظهور أعمال أدبية رائعة، تعتمد التراث ومكوناته أساساً لها من خلال اساليب وتقنيات فنية متعددة تعد «تقنية القناع» من أهمها حيث انطلق شعراؤها، «يختارون من النماذج والأحداث التراثية ما يتجاوب مع أبعاد تجاربهم المعاصرة فيستخدمونه في نقل هذه التجارب»⁽¹⁵⁾. لهذا التراث ميزة خاصة وأهمية واسعة إذ يتعامل الشعراء معه ضمن رؤية وإعيت، لأنه «تراث قريب حيّ، وحين يلجأ إليه الشاعر لا يحس أنه مثقل بما في الماضي الطويل من خلافات ومشكلات»⁽¹⁶⁾.

التراث التاريخي

استمد الشعراء مادتهم الأدبية من التاريخ و« اتخذ شعراء الحداثة بعض الشخصيات التاريخية، اقنعة تنأي بهم عن التدفق المباشر للشاعر الذاتية وتخلق معادلاً موضوعياً يؤدي بالشاعر إلي أحكام السيطرة علي موضوعه. وبالطبع فإن الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق وأفكاره والقضايا والهموم التي يريد التعبير عنها»⁽¹⁷⁾. ووظف الشاعر علي محمود طه التراث التاريخي والديني والصليب، وأصحاب كهف، وكعبة و صومعة وآدم و حواء و نوح النبي، كقناع في أشعاره، نذكر منه مع التحليل النقدي:

نوح النبي ودعا النبي ابنه وهذا الأخير لم يجبه أيضاً. ومن قناع الأشخاص والأمكنة ما يقوله الشاعر:

قَف علي الفن بين شرق وغرب وصف العالم المخلد شأنه

عرش غرناطة، إله أثينا تاج روما، سماء مجد الكنانة

ويشرق السحر من تماثيل فيها ومقاصير كالبروج المزانة⁽²¹⁾

استخدم الشاعر أساطير وأمكنة تاريخية في هذه القصيدة وكانت غرناطة تُدعى إلبيرا حتى منتصف القرن الثامن الميلادي. تسمية غرناطة تأتي من أيام الحكم الإسلامي للأندلس بعد أن فتحها المسلمون الأمويون عام 711 ميلادي وأسسوا قلعة غرناطة. وإله أثين هي إلهة الحكمة والقوة وإلهة الحرب وحامية المدينة وروما كانت إحدى الشماسين السبعة في روما القديمة الذين كانوا يعملون تحت إمرة البابا سيكتوس الثاني والذي قتل أثناء فترة اضطهاد الإمبراطور فاليريان للمسيحيين في عام 258، الشاعر ذكر هذه الامكنة والأساطير لبيان رمزية الجمال والفن الذي يشرق الشرق من تماثيل فيها. في الواقع تقنية القناع في الشعر العربي الحديث فلها مجموعة من الحوافز التي ساعدت على ولوجها هذا الميدان، وللقناد في اسبابها مذاهب شتى، منها: ان «قصيدة القناع تطورت اصلا عن قصيدة (التوحد) التي مارسها الشعراء التمزويون في الخمسينات، فقد كانوا يعمدون الى التوحد برموز العذاب، وصولا الى تحقيق حالة الانبعاث الفاعلة بعد الموت، وقد ارتبط ذلك النهج بأساطير الخصب، والتوضيحية خاصة⁽²²⁾، وفي قول الشاعر لقناع الشرق:

إلي أين تمضي، أيها التائه الخطي يساريك برق أو يباريك عاصف؛

رأيتك في بحر الظلام كأنما إلي شاطيء المجهول يدعوك هاتف

طريدا يفر الوحش من وقع خطوه ويعزب عنه الصل، والصل واجف

كان إله الشر يقتحم الوري أو أن الردي في برده الرث زاحف⁽²³⁾

الشاعر يوظف القناع المركب في تأخر الشرق الذي كان متقدما وتشعر أنه طريد الظلم وإهدار القيم، ويأخذ على الشرق غفلته عن تقدير النابهين وبخاصة في مصر التي لا يلقون فيها غير الشقاء... هناك في قصيدة عنوانها (الطريد)، وأن بيئته بالأمس كانت أقوى من إرادته فأخضعت تلك الإرادة وقررت مصيره في غمار الحياة، وأن إرادته بعد ذلك قد تغلبت على بيئته فحطمت أغلال تلك البيئة وهيأت له أن يختار مصيره برضاه. وشبه الطريد بإله الشر قناعا من شرارته وإله الشر من الآلهة المصرية القديمة كان تمثيلا لظواهر الشر وأعتقد المصريون القدماء أن الآلهة هي التي خلقت الأرض وقاطنيها، وهي التي تنضم الحياة وما عليها. ومن الآلهة من هو للخير ومن هم من يجب التدخل في شؤونهم وفرض إرادته داخل مجتمعهم وهم يمثلون الشر.

ولهذا نرى في قصائد القناع نوعاً من التفاعل بين الشاعر والشخصية التاريخية، تفاعلاً عضوياً قادراً على إخفاء الشاعر إلى الحد الذي لا يعود فيه مرثيا لدى المتلقي، ولكن بموازنة

محسوبة تحول دون طغيان أحدهما على الآخر. وإن الإمتزاج بين الذات الشاعر والمقدس الديني والواقع العام يؤكد تبادل التأثير والتأثر وإن صورة الواقع العام للشاعر قد انعكست في نصه الشعري وإن استدعاء الشاعر للتراث له إطاره الزمني والمكاني والنوعي وكيفية توظيفه له، هو مناط الإبتكار والتميز، إنه مكان أو زمان أو حدث أو شخوص لها وضعيتها التاريخية والدلالة المرتبطة بها، ويبقى على الشاعر عبء انتقاء الرمز والتوليف بينه وبين العناصر الأخرى في النص الشعري وتفجير ما به من طاقات دلالية إيحائية، وإن توظيف الشاعر للتراث، يقتضي منه الوعي بدوره الحضاري، والوعي أيضا بكيفية تفجير ما في الرموز من طاقة إيحائية معبرة عن التجربة الشخصية والإنسانية معا.

التراث الدين

وأما التراث الديني مصدر غني من مصادر الإلهام الأدبي، استمد منه الأدباء موضوعاتهم ونماذجهم الأدبية. والأدب العالمي يحفل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي تدور حول الدين. أما الرمز الانساني «في معناه الأسمي ومحاولته وصل الذات بهذا المعني لتأصيل جوهريته بوصفه امتداد روحيا لإصالة الذات في نشدائها للمتعالى والمثال، عبر جدلها الدائم مع الواقع القائم علي التأمل والعيان والاستبصار⁽²⁴⁾».

وإن التعامل مع المقدس الديني يساعد الشاعر علي تشكيل الرمز والقناع المعتمد مقدسا دينيا وفق رغبته هو كشاعر، دون الوقوع تحت ضغط خصوصيات المرموز به، ليصبح الشاعر بذلك مرتبطا ارتباطا بما اختاره، لكنه ينطلق منه ليعبر عن خصوصياته كشاعر ومميزاته، أكثر مما يظهر مميزات وخصوصيات الموظف، وبذلك يكتسب العمل الإبداعي خصوصيته التي تميزه عن غيره، فالمقدس الديني له الأهمية القصوى في الحياة الاجتماعية والعملية الإبداعية، إذ يكشف ويجلي ويثري النص الشعري بدلالات وإيحاءات مختلفة، ومن الشخصيات الدينية التي يتقنع بها شخصية آدم وحواء، ونوح النبي و... وأدم وحواء رمزان لمن يذنب ذنبا ويخرج من الجنة وهما يحزنان من ذنبهما ونوح النبي رمز لانسان يتخذ سبيلا للرشد والهدى والنجاة من الخطر:

ما انا إلا آدمي شقي طردتني بالأمس من جنتي⁽²⁵⁾

إشارة إلى ذنب آدم وطرده من الجنة، لعل غربة الشاعر من وطنه الجنة وخروج منها بمثابة طرده وتركه لذنبه فيها.

ولم أكن أول مغري بما أغرت به حواء أو آدم⁽²⁶⁾

يقول الشاعر ليس هو أول من جنى وذنب وأن حواء وآدم ذنبا أيضا وانهما أساس الانسان والانسان من نسلهما.

وتراعى العذراء تلهم رافائي ل روح الخلود وحي الديانة

وابن حمديس في الملا، لم تين يضيفان صوة ومجانه

ناجيا الروض والبحيرة حتى لمس الفن فيهما عنفوانه⁽²⁷⁾

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
 2. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
 3. اسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، بيروت، 2013م.
 4. حداد، علي، أثر التراث في الشعر العربي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2007م.
 5. الشولي، عبد المنعم جبار عبيد، «القناع في ديوان الشهيد محمد الدرة»، مجلة العميد، السنة السادسة، المجلد السادس، العدد الحادي والعشرون، 2017م.
 6. الصكر، حاتم، مرايا نرسييس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999م.
 7. عبد الصبور، صلاح، حياتي في شعر، دار العودة، بيروت، 1998م، ج3.
 8. عباس، إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م.
 9. عزّام، محمد، قصيدة القناع في الشعر السوري المعاصر، الموقف الأدبي. اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، العدد 412، 2005م.
 10. عشري زايد، علي، استدعاء الشخصيات التراثية، الشركة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1978م.
 11. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار غريب، القاهرة، 2002م.
 12. علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985م.
 13. فيدوح، عبد القادر، الرؤيا والتأويل مدخل لقراءة القصيدة المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1994م.
 14. كندي، محمد علي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، دار الكتاب، بيروت، 2003م.
 15. محمود طه، علي، ديوان، الهداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.
 16. الموسى، خليل، بنية القناع في القصيدة العربية المعاصرة، دمشق: اتحاد الكتّاب العرب، العدد 336، 1999م.
 17. <https://www.fikrmag.com>
 18. <http://aboufehr.com>
- ### الهوامش
- 1- خليل الموسى، بنية القناع في القصيدة العربية المعاصرة، اتحاد الكتّاب العرب، 1999م، ص1.
 - 2- صلاح عبد الصبور، حياتي في شعر، دار العودة، بيروت، 1998م، ج3، ص185.
 - 3- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985م، ص223.
 - 4- الصكر، حاتم، مرايا نرسييس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999م، ص226.
 - 5- <https://www.fikrmag.com>
 - 6- <http://aboufehr.com>
 - 7- (ابن منظور، مادة «قنن»)
 - 8- محمد عزّام، قصيدة القناع في الشعر السوري المعاصر، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2005م، العدد 412، ص1.
 - 9- محمد علي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، دار الكتاب، بيروت، 2003م، صص: 65-66.

ورافائيل من الملائكة المقربة تلهم العذراء روح الخلود وابن حمديس شاعر مشهور من سبسيل (صقيلت) وكأنهما يناجيان الروض والبحيرة (الطبيعية) بلمسهما الفن الجميل.

إن الشاعر لم يقف عند حدود استدعاء التراث فحسب، إنما كان تحوله ناضجاً عندما استقى من الموروثات الدينية فاضى قوة ومصداقية علي النص الأدبي الحديث، جاعلاً إياه غطاء أو رداء أو واجهة. وفي قناع للنبي يوسف عليه السلام، حيث الشاعر في مقام مدح بمناسبة تنويع ملك مصر:

وَصَغَتْ سَنَابِلُ، مِثْلَمَا أَصْغَى لَهَا تَأْوِيلُ «يُوسُفَ» فَهِيَ خُضْرُ تَنْجُمٍ
يَا صَوْتَ مِصْرَ وَيَا صَدِي أَحْلَامِهَا زِدْ رُوعِي مِمَّا يَهْزُ وَيُفْعَمُ
أَلْقَى الْمَقَادَةَ فِي يَدَيْكَ وَدِيعَةً شَعْبٌ لَغِيرِ خُطَاكَ لَا يَتَرَسَّمُ⁽²⁸⁾

الشاعر قنّع الشعب المصري أجمع بالنبي يوسف عليه السلام، فقناع يوسف لما تنبأ بالسنين الخضر للمصريين، الرموز القديمة التي يستخدمها الشعراء المعاصرون إنما هي رموز أسطورية بمعنى أنها خلّدت في التاريخ مثل شخصية سندباد وأيوب ويوسف وغيرهم، فالشاعر يخاطب الملك بمناسبة تنويعه ويقول إنّ الشعب المصري كيوسف تنبأوا خيراً في تنويعك ملكاً عليهم هذا ويمكن استعمال يوسف عليه السلام في هذا النص الشعري قناع مفرد وأنّ الشاعر بمخاطبة الملك أراد نفسه متقنعا بيوسف عليه السلام.

النتائج

لجأ الشاعر إلى القناع باعتباره وسيلة فنية للتعبير عن تجاربه بصورة غير مباشرة وإن التعامل مع المقدس الديني والتاريخي يساعد الشاعر علي تشكيل الرمز والقناع وفق رغبته، دون الوقوع تحت ضغط خصوصيات الرموز به، ليصبح الشاعر بذلك مرتبطاً ارتباطاً بما اختاره، لكنه ينطلق منه ليعبر عن خصوصياته ومميزاته، أكثر مما يظهر مميزات وخصوصيات الموظف، وبذلك يكتسب العمل الإبداعي خصوصيته التي تميزه عن غيره، فالمقدس الديني له الأهمية في الحياة الاجتماعية والعملية الإبداعية، إذ يكشف ويجلي ويثري النص الشعري بدلالات وإيحاءات مختلفة، ومن الشخصيات الدينية التي يتقنّع بها شخصية آدم وحواء، ونوح النبي ورافائيل و... و آدم و حواء رمزان لمن يذنب ذنباً ويخرج من الجنة وهما يحزان من ذنبهما ونوح النبي رمز لانسان يتخذ سبيلا للرشد والهدى والنجاة من الخطر ورافائيل قناعاً لمن لمس الفن الجميل ونجاه واستخدم الشاعر أساطير وأمكنة تاريخية وكانت غرناطة وإله أثين هي إلهة الحكمة والقوة وإلهة الحرب وحامية المدينة وروما، وشبه الطريد بإله الشر قناعاً من شرارته وإله الشر من الآلهة المصرية القديمة كان تمثيلاً لظواهر الشر وذكر هذه الامكنة والأساطير ذكراً ورمزاً لجمال الفن الذي يشرق الشرق من تماثيل فيها والشاعر يتخذ من الصليب رمزاً وقناعاً يعبر به ومن خلاله، عما لحقه هو من أذى وألم وعذاب.

- 10- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م، ص: 121
- 11- الموسى، نفسه، ص: 34.
- 12- علي حداد، أثر التراث في الشعر العربي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2007م، ص: 76.
- 13- عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، بيروت، 2013م، ص: 28
- 14- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، الشركة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1978م، ص: 58.
- 15- نفسه، ص: 32.
- 16- إحسان عباس، ص: 150.
- 17- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دارغريب، القاهرة، 2002م، ص: 120.
- 18- علي محمود طه، ديوان، الهداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص: 57.
- 19- علي محمود طه، ديوان، ص: 71.
- 20- نفسه، ص: 74.
- 21- نفسه، ص: 93.
- 22- عبد المنعم جبار عبید الشويلي، ص: 202، نقلاً عن: دراسات في الشعر العربي المعاصر القناع التوليف الاصول، د. عبد الرضا علي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت، 1995م، ص: 19 .
- 23- نفسه، ص: 118.
- 24- عبد القادر فيدوح، الرؤيا و التأويل مدخل لقراءة القصيدة المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، الجزائر، 1994م، ص: 52.
- 25- علي محمود طه، ديوان، ص: 61.
- 26- نفسه، ص: 63.
- 27- نفسه، ص: 74.
- 28- نفسه، ص: 167
- 29- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص: 202.